DOI: https://doi.org/10.35560/jcofarts107/289-302

The Relationship of Aesthetics in the Art of Interior Architecture and Architectural Criticism

Mohammed Thabit Mohammed Al-Baldawi[1]

Al-Academy Journal-Issue 107 **ISSN(Online) 2523-2029/ ISSN(Print) 1819-5229**
Date of receipt: 6/11/2022 **Date of acceptance: 7/12/2022** **Date of publication: 15/3/2023**

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

Abstract

The concept of aesthetics is one of the postmodern propositions, and it is one of the branches of philosophy that examines beauty, its standards and theories, and it is a holistic concept that includes several concepts, including the beautiful, the ugly, and the sublime.

The concept of aesthetics dealt with several studies in general (and in the field of architecture in particular), and the problem of aesthetics is in the blurring of the relationship between aesthetics and architectural criticism, based on the research hypothesis which states that there is a relationship between aesthetics and architectural criticism. The importance of the research in accommodating aesthetic standards and bases of evaluation that increases the possibility of enjoying the aesthetic taste of architecture, which highlights the relationship between aesthetics and architectural criticism. As for the research method, it was represented by studying the concept of aesthetics through two main axes, The first axis: establishing a theoretical information base to define the concept of aesthetics through the investigation and analysis of propositions and literature in the various fields of knowledge that directly or implicitly dealt with the concept of aesthetics and the architectural dimension, The second axis: investing this information base and enhancing it with architectural proposals and studies and extracting the close relationship between aesthetics and architectural criticism.

The research found that there is a close relationship between aesthetics and architectural criticism, through the aesthetic judgment of the products of architecture through aesthetic criticism of the aesthetic experience according to aesthetic critical foundations (subjective or objective or both) as a broader perspective the aesthetic phenomenon

Keywords: Architecture, Architecture art, Architectural Criticism, Philosophy, Aesthetics of Architecture

[1] Department of Digital Arts and Design - Al-Khwarizmi Technical University College The Hashemite Kingdom of Jordan.
m_th_albldiwy@yahoo.com

علاقة الاستطيقا في فن العمارة الداخلية والنقد المعماري

محمد ثابت محمد البلداوي[1]

ملخص البحث

يعد مفهوم الاستطيقا (علم الجمال) أحد طروحات ما بعد الحداثة، وهو أحد فروع الفلسفة يبحث في الجمال ومقاييسه ونظرياته، وهو مفهوم شمولي يتضمن عدة مفاهيم منها الجميل، والقبيح، والجليل.

وتناول مفهوم الاستطيقا عدة دراسات بشكل عام (وفي ميدان العمارة بشكل خاص)، وتعد مشكلة الاستطيقا في ضبابية العلاقة بين الاستطيقا والنقد المعماري، بالاستناد إلى فرضية البحث التي تنص على أن هناك علاقة بين الاستيطقا والنقد المعماري، وتبرز هنا أهمية البحث في استيعاب مقاييس وأسس تقييم جمالية تزيد من إمكانية الاستمتاع بالتذوق الجمالي لفن العمارة والذي يبرز العلاقة بين الاستطيقا والنقد المعماري، أما منهج البحث فقد تمثل بدراسة مفهوم الاستطيقا من خلال محورين رئيسين، المحور الأول: تأسيس قاعدة معلوماتية نظرية للتعريف بمفهوم الاستطيقا من خلال تقصي وتحليل الطروحات والأدبيات في الحقول المعرفية المختلفة التي تناولت مفهوم الاستطيقا والبُعد المعماري بشكل مباشر أو ضمني غير مباشر، المحور الثاني: استثمار هذه القاعدة المعلوماتية وتعزيزها بالطروحات والدراسات المعمارية واستخلاص العلاقة الوثيقة بين الاستطيقا والنقد المعماري.

وتوصل البحث أن هناك علاقة وثيقة بين الاستطيقا والنقد المعماري، من خلال الحكم الجمالي لنتاجات فن العمارة عبر النقد الجمالي للتجربة الجمالية وفق أسس نقدية جمالية (ذاتية أو موضوعية أو كلاهما) كمنظور أكثر اتساع للظاهرة الجمالية (الاستطيقا) في فن العمارة.

الكلمات المفتاحية: العمارة، فن العمارة، النقد المعماري، الفلسفة، جماليات العمارة.

المقدمة:

الاستطيقا، علم الجمال (Aesthetics): هو أحد فروع الفلسفة التي بحثت في فلسفة الجمال ومقاييسه ونظرياته وفي الذوق الفني والأحكام القيمية التي تنصب على الأعمال الفنية، وهو نظري يبحث في الصفات المشتركة بين الأشياء الجميلة التي تولّد الشعور بالجمال، ويحلّل هذا الشعور ويفسّره تفسيراً فلسفياً ويضع له قيوده وضوابطه، ويحدّد الشروط التي يتميَّز بها الجميل من القبيح، وعلم الجمال العملي الذي يبحث في مختلف صور الفن ويحمله على نماذجه الفردية. وهو يتمثَّل في الفن، والقيم الفنية التي تحكم التعبير الفني، وتثير في الأفراد الإحساس بالجمال. وانقسم الفلاسفة فيه إلى اتجاهين: أحدهما يجعل الجمال موضوعياً كائناً في الشيء الجميل نفسه، والآخر يجعله مرهوناً بالإدراك الذاتي عند الشخص

[1] قسم الفنون الرقمية والتصميم – كلية الخوارزمي الجامعية التقنية -المملكة الأردنية الهاشمية m_th_albldiwy@yahoo.com

المدرك. وإن مفهوم الجمال بجوانبه وتراكيبه وبمفرداته، بحر كبير وعميق غاص فيه الكثير من الفلاسفة، والمفكرين والعلماء، فحاولوا تفسيره وتحديده بعلامات وضوابط معينة بالرغم من صعوبة الأمر؛ نظراً لاتساع وقوة هذا المفهوم، كما حاول الكثيرون أيضا في إيجاد علاقة تربط بين مفهومي الجمال وعالم العمارة، فمنهم من رأى بأن هذا الجمال هو جزء لا يتجزأ من الشيء، ومنهم من رأى النقيض في كون أن تعبير الجمال يكمن في ذهن المتلقي فقط بحيث يكون مدى تأثيره في رؤية جمال الأشياء، وليس في كيفية تجسُّد الجمال في الأشياء على نحو مادي، وملحوظ؛ وإنما يتجسَّد في الفكر، وهي النظرية التي اتّضح فيما بعد ضعفها؛ بسبب أنَّ الجمال إذا وجد فإنه سيكون ملحوظاً، وفي أغلب الأحيان لا يظهر الجمال إلا بعد تدخُّل البشر، الذي بدوره يحوّرها ويبلّورها لأشياء تحاكي ذلك الحسّ الذي يستشعر ويتلقى الجمال، أي أنه لا بُدَّ من جمال محسوس وملموس حتى يتلقاه فكر الإنسان ويثير فيه الشعور بالجمال (Steess, 2000).

جدلية الاستطيقا وتعاريفه:

هل الجمال علم؟ وما هو موضوعه؟ وما هي بحوثه؟ وهل هو حديث الولادة؟ أم أن له أساس تمتد جذوره في أعماق الفكر البشري؟ وما هي فوائد علم الجمال؟. هذه الأسئلة تغزو عقل كل من يرهق تفكيره في هذا العلم وغيره من العلوم.

هو علم الأحكام التقويمية التي تميّز بين (الجميل والقبيح) (معجم لالاند)، وهذا هو التعريف الكلاسيكي للفظ الاستيطقا، وإن لفظ الأستيطقا (علم الجمال) يعود في أصله إلى اليونانية فهو مشتق من (AISTHESIS) التي تعني (الإحساس) ويفيد معناها الاشتقاقي: نظرية الإحساس، ويتضمن الإدراك الحسي، وهي تعني باليونانية في وقت واحد : (Bourouina, 2011)

1. المعرفة الحسية أو (الإدراك الحسي).
2. المظهر المحسوس لإدراكنا والصورة الأولية لإحساسنا.

إن أول من دعا إلى إيجاد هذا العلم وجعل لفظ الاستيطقا كاسم لعلم الجمال هو(الكسندر بومجارتن 1714م-1762م / A.G.BAUMGARREN) وذلك في كتاب (تأملات فلسفلية في موضوعات تتعلَّق بالشّعر) وقد قصد بومجارتن إلى ربط تقويم الفنون بالمعرفة الحسية مما جعله يعد مؤسساً لهذا العلم. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الأستيطقا من الكلمات التي جرت على الألسنة حتى أن الشاعر (جان بول JENPAUL) قال سنة 1804 م: (إن زماننا لا يعج بشيء بقدر ما يعج بعلماء الجمال)، لكن موضوع هذا العلم وهو الجميل والجمال والقبح كان مطروقاً منذ عهد اليونان كأفكار متفرقة عند أفلاطون، وأرسطو، وكزينوقراط، وفي عهد الرومان أيضاً (Taher, 2019).

القبح والاستطيقا:

مصطلح الاستطيقا الذي يعني في أصل مدلوله اليوناني الإدراك الحسي أو المعرفة الحسية والذي أصبح يترجم على أنه علم الجمال يعد مصطلحاً فضفاضاً أكثر مما ينبغي فهناك فرق بسن مفهوم علم الجمال (الاستطيقا) وبين مفهوم الجمال(Beauty)، فالجمال بمعناه الضيق لا يدل إلا على واحد من بين عدة أنواع من القيم الاستطيقية، ليأتي مفهوم القبح ويكتسي قيمية استطيقية ضمن الأنواع الأخرى، وذلك عندما نمت نظرية القبح وتضخمت وأصبحت جزءً لا ينفصل عن النظرة الاستطيقية، وهو ما يميز

النصف الثاني من القرن التاسع عشر: التغلُّب على مشكلة القبح والانتقال من المجرد إلى المحسوس ويعود لـ(هيغل) الأثر الكبير في ذلك، فإذا كان الجمال الاستطيقي يشمل الجليل الرهيب المرعب المخيف الهجائي والكوميدي، فَلِمَ لا يشمل القبح كذلك، فالقبح يؤدي إلى انطباع استطيقي يمكن أن يكون ممتعاً بدلاً من الانطباع المؤلم الذي يفترض عادة (Taher, 2019).

تصنيف الاستطيقا وإشارات نقدية

يصنف التفكير الفلسفي العلوم، بعلوم وضعية وعلوم معيارية: (Ibrahim, 2014)

1. **العلوم الوضعية:** وتهتم بدورها في دراسة الظواهر الطبيعية، وتعتمد على طرق تجريبية وتستنتج قوانين وأحكاماً تقريرية، وتهتم بدراسة الكائن وتختص بالوقائع.
2. **العلوم المعيارية:** وهي العلوم التي تتميز باستعانتها بالعقل، وتتجاوز الوقائع الجزئية إلى البحث فيما ينبغي عليه أن تكون، وتصدر أحكاماً قيمية وتصوغ القواعد أو المعايير، وتدرس العلوم المعيارية القيم الإنسانية الثلاث (الحق، الخير، الجمال).

فإذا كان علم المنطق يضع القواعد، والأسس التي تحاول تحديد العقل من الوقوع في الخطأ ويبحث فيما ينبغي أن يكون عليه التفكير السليم، وإذا كان علم الأخلاق يضع المثل العليا التي ينبغي أن يسير الإنسان في سلوكه بمقتضاها؛ فإن علم الجمال يبحث فيما ينبغي أن يكون عليه الشيء الجميل، ويضع معاييراً يمكن أن يقاس بها، إن الجمال يقربنا من جوهرنا الإنساني أكثر ويجعلنا أرقى اجتماعياً، وأكثر نفعاً ويقوي من إدراكنا للواقع المحيط، ويمدنا بأدوات يمكن عن طريقها أن نفسر ماهية الحياة؛ بل وحتى أكثر من ذلك باعتبار إحدى أدوات المعرفة يعطينا القدرة على لعب دور مؤثر في التحكم بآليات التغيير؛ إذ يقول فيشر: (إن الوظيفة الأساسية للفن تكمن في إعطاء الإنسان القوة إزاء الطبيعة وإزاء الآخر وإزاء الواقع). http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=29425&r=0()

تعريفات علم الاستطيقا

عرفه كل مفكر وباحث وعالم اجتماع اعتماداً على مشاربهم الفلسفية، ومذاهبهم الفكرية وآرائهم الجمالية التي كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بصلب نسيجهم الفكري. فمنهم من عرّف علم الجمال اعتماداً على المعنى الحرفي لكلمة استيطقا، ومنهم من عرفوه اعتمادا على مفهوم الجمال والقيمة الجمالية، وآخرون اعتماداً على مفهوم الفن. وتعددت الآراء والنظريات وتضاربت في بعض الأحيان وهذه بعض الآراء : http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=29425&r=0()

- أكد (ديدور) صعوبة تحديد الجمال بقوله (إن الأشياء التي نتحدث عنها بكثرة هي عادة التي تكون معرفتنا بها أقل)، وتساءل عن كيفية اتفاق الجميع على وجود الجمال، وأن كثيرين يتحسسونه بشدة حيث يوجد ولكن قليلاً منهم من يعرف ما هو الجمال.
- وذهب (وول ديورانت) إلى صعوبة تحديد الجميل (إن القلب يلبي نداء الجمال ولكن قل أن تجد عقلاً يسأل لماذا كان الجميل جميلاً).
- اعتبر (أفلاطون) الجمال بأنه فن (إن الفن سحر ولكنه سحر يحرر من كل سطحيته، وهو جنون وهذيان ولكنه بهذا ينقلنا إلى عالم آخر هو ميدان المرئيات وهو المثل الأعلى الذي ينبغي على الفن أن

يقترب منه). وتعتبر القيم الأفلاطونية في الجمال هي المقياس الذي اعتمد عليه أكثر فلاسفة اليونان من بعده، بعد أن أضافوا إليها رؤاهم الجمالية، وإن علماء وفناني عصر النهضة دعوا إلى العودة للفلسفة الأفلاطونية والميراث اليوناني والروماني في الفن والأدب والفلسفة أخذها أساساً لعصر التنوير، حيث كانت القيم الكلاسيكية تعتبر الإنسان هو مقياس المقاييس وإن الجسم البشري هو الأساس لكل تقييم ومعيار يجب الأخذ به.

- واعتبر (أرسطو) الذي نقض بعض آراء أفلاطون؛ إذ أشاد بالمحاكاة وقرَّر أن الفن لا بُدَّ وأن يحاكي الطبيعة كما تتجلى وتظهر، لكن وفقاً لمعيار كلي عقلي وهو يرى أن المحاكاة وسيلة من التطهر من الانفعالات الضارة ونوعاً من الدواء النفسي.

وكما هو واضح فإن علم الجمال هو العلم الذي يضع لكل موجود قيمة بالإضافة إلى قيمته كموجود. كما اعتمد فلاسفة الإغريق في تعريف الجمال في عبارات كمية ومكانية فالموسيقى انتظام في الأصوات وجمال الفن التشكيلي انتظام في النسب. ومنهم من رأى أن الجمال بالمنفعة واعتبروا أن الأشياء النافعة جميلة في حين اعتبر آخرون أنه ليس من الضروري أن يكون المفيد والنافع جميلاً، فمثلاً إن المقعد قد يكون مريحاً ومفيداً دون أن يكون جميلاً، اعتقد هربرت سبنسر (1820م–1903م) (إن الرغبة التي تنشأ عن الحاجة تنفي كل شعور جمالي، وإن السعي إلى تحقيق غاية من الغايات المفيدة للحياة يجعلنا نغفل الصفة الجمالية في هذه). ومعظم المفاهيم والمقولات عن الجمال في الحقبة اليونانية كانت تدور حول الادراك الحسي أو الحس الجمالي عن طريق الحواس أو الانسجام بين الأشياء أو ربطه بالأخلاق والخير والشر في محاولة للإجابة على سؤال: "ما الجمال؟". إن أولى الصياغات المنتظمة هي تلك التي قدمها "بيرك" عام 1775م حول الجمال حين قال بأنه "الانفعال الذي يجيش في صدورنا". إن الجمال ليس متعلقاً بالشكل المنفصل أو المنعزل عن مضمونه، لكنه يتعلق بالتركيب الخاص للمستويات المتنوعة من المعنى والتأثير الشامل، والإحساس الشامل بالحياة في تألقها وتدفقها الدائمين. ونظرا لارتباط علم الجمال بالفنون والآداب ارتباطاً قوياً، فإن استقصاء مفاهيم الفنون عبر تاريخ تطوُّر رؤية الفن ومفهومه، فإن جمال العمل الفني لا يكمن - كما أشار "جومبريتش"- في جمال موضوعه، بل في جمال أسلوب التعبير عن هذا الموضوع (Chikhi, 2017).

علم الجمال الصناعي: وهو العلم الذي يدرس أسلوب الأداء الفني في الفنون التطبيقية العملية عندما يتخذ طابعاً، وسمة جمالية يمكن إدراكها (Taher, 2019).

العلاقة بين الجمال والعمل الإبداعي الفني

العلاقة التي بين المتلقي والعمل الإبداعي الفني ليست علاقة واحدة فقط هي العلاقة الجمالية، أو علاقة الاستمتاع، والتأمل على مسافة معينة فقط، بل هي في جوهرها، علاقة موقفية تعتمد على "طبيعة التفاعل"، بيننا وبين العمل الفني في "موقف معين"، وهذه خاصية لا تعمل ضد الفن بل تعمل معه، وكلما كان العمل الفني قادراً على النشاط، والتأثير في مواقف متعددة، تعددت تفسيراته وتأويلاته ومستوياته،

وكان هذا العمل أكثر خصوبة وثراء. رغم كل الآراء والاتجاهات لتعريف الفن، أو فهمه فإننا نقع في حيرة عند محاولة الاقتناع أو التمسح بمفهوم واحد على حساب الآخر. إن الفن ظاهرة يصعب تعريفها حقاً، فأحياناً لا تكون هناك حدود واضحة بين ما يمكن اعتباره فناً، وما لا يمكن اعتباره فناً، وما قد نعتبره اليوم فناً قد لا يصبح كذلك في فترة أخرى وفقاً للاهتمامات الشائعة، والأيديولوجيا، وأساليب الحياة التي يعتمدها الناس أكثر في حياتهم (Bourouina, 2011).

إن الاهتمام المنظم بالفن، والجمال يعود إلى بدايات الفلسفة اليونانية عامة، وإلى أفلاطون وأرسطو خاصة. فبينما أكد أفلاطون على أن المحاكاة الفنية، وبخاصة في التراجيديا والشعر التراجيدي، تعمل على تأجيج الانفعالات القوية، وتضلل الباحث عن الحقيقة فتبعده عنها، فإن أرسطو قال إن الفنون عموماً لها قيمتها العالية؛ لأنها تصحح النقائص الموجودة في الطبيعة، وأن الدراما والتراجيديا خصوصاً لها أهميتها؛ لأن لها إسهامها الإيجابي في التطهر من الانفعالات السلبية المتطرفة، ومن ثم تقوم بدور أخلاقي إيجابي. والتراجيديا في رأيه كذلك وسيلة للوصول إلى المعرفة من خلال عرضها للحقائق الفلسفية. أما بعد ذلك وخلال القرن الثالث الميلادي فقد ربط أفلوطين في حديثه عن الفيض بين الفن والدين وبين الجمال والخير، وأكد أفكار التناسب ووحدة الأجزاء داخل الكل، وانتهى إلى نظرية مثالية صوفية وحد فيها بين حقيقة الوجود والخير والجمال، وصور من خلالها شوق النفس الإنسانية المستمر إلى الاتصال بهذه الحقيقة المطلقة والتشبه بها (Bourouina, 2011).

وفي العصور الوسطى تحول الاهتمام من القضايا الميتافيزيقية إلى القضايا المنطقية واللاهوتية بفعل التأثير الطاغي للكنيسة حينئذ، وأصبحت الأفكار الجوهرية متعلقة بالمشكلات الدينية، بينما صارت قضايا الفن قضايا فرعية، وتناقش في ضوء التصورات الدينية فقط. وحافظ "لجميل" على مكانته لكنه كان محاطا بهالة من القداسة، وقطعت كل صلاته القديمة بالفن، وتم إحلال صلات جديدة بدلاً منها تربطه على نحو وثيق بالمقدس الديني (Bourouina, 2011).

انسجام الجمال وفن العمارة

أما في العمارة عند تواجد أي مبنى أو شكل فلا بد أن تكون فيه نقاط معينة، أو أن يحتوي على شيء يجعله في ذروة الإتقان والقوة في التعبير مما يدعونا للإعجاب بهذه المعايير التي يجب أن تتوفر في المبنى، أو الشكل، ظلت إلى فترة طويلة خاضعة لمفهوم (فيتروفيوس) الذي كان أول من تحدث بأهمية الوظيفة، والجمال، والمتانة كعناصر أساسية في العمارة، وكان يعتقد بأن جمال الأشياء هو نتاج لتوافق أجزاء الشيء تبعاً لعلاقات معينة بين أجزاءه مدروسة بنسب معينة (كالنسبة والتناسب في جسم الإنسان) بحيث كلها مرتبطة ببعضها البعض، فإذا نزع شيء منها أدى إلى تشوهها، وهذا الفكر استمر في تأييده الكثير من المفكرين لفترة طويلة، وقد ارتكز على خلفية أن الجمال وصف خارجي في حين أنه ينبغي حتى يتم الربط بين الجمال والعمارة، وحتى يكون الجمال وصفاً لها، وناتجاً عنها، وجزءً لا يتجزأ منها أن نتخلى عن تلك النظرة التي من خلالها يتم النظر للجمال كوسيلة وصف وتعبير مجرد، إن نشوء هذا الفكر الذي اجتاح عالم العمارة وبقوة (الارتباط الوثيق بين الوظيفة والعمارة) يعتقد أنه ظهر في عصر الحداثة بداية القرن العشرين عند الغرب، متمثلا في تلك المقولة الشهيرة (الشكل يتبع الوظيفة) أي أن الجمال يأتي نتيجة

مكملة لوظيفة المبنى، فالوظيفة لا بُدَّ أن تتحقق أولاً حتى يتحقق جمالها، فإذا لم تتحقق الوظيفة بداية، فبالتالي تعتبر تقنياً ومعمارياً غير مستوفية لشروط الجمال؛ لكونها غير ملائمة وظيفياً، أي أنه يؤدي المبنى وظيفته بطريقة منطقية وتلقائية بحيث ينسجم الشكل مع تفاصيله الإنشائية والمعمارية، فكلما زاد الانسجام بين هذه التفاصيل وفكرة المبنى كلما تحقق مفهوم الجمال، وبالتالي يكون القصد هو أنه إذا نجح المبنى في تحقيق البرنامج الوظيفي الذي أقيم من أجله يكون نجح أيضا في تكوين شكله، ومظهره الخارجي المقبول بطريقة تلقائية، وهكذا فسر الكثيرون أن الوظيفة والجمال هما علاقة طردية كلما أتقنت الوظيفة تبعها الجمال حتى أنه كان للبعض آراء تشجع الاهتمام بالوظيفة حيث قال البعض: (إن كل شيء ذو فائدة هو رائع جميل، فالأشياء التي تسبب ضرراً لإنسان قبيحة رغم تناسب أجزائها في جمال الصنع)، هذا ما قرأته في مقالة سابقة عن رأي (سقراط) في الجمال، فلا عجب من مبنى كائن ما يكون بيت أو مدرسة أو متحف، أو أي منشأ أو مبنى، تجد ظاهره يضاهي جمال (تاج محل)، وفخامة متحف (اللوفر)، ورونق (قصر الحمراء)، فإذا لم تتوفر فيه الوظيفة الملائمة لسكانه وزواره، وعامليه، فسيكون في نظرهم ليس جميلا كفاية؛ لأنه لا يتمتع بالمرونة الكافية، وقد قرأت أيضاً نقداً لأحد أساتذة العمارة في جامعة هارفارد (أن الأهرامات هي قبيحة؛ لأنها بنيت على أكتاف وأكف الآلاف المستعبدين من البشر)؛ أي أن وظيفتها لا تلائم هيئتها، وجمالها ولا تستحق كل هذا العناء؛ بالرغم من أنه في ذلك الوقت قد كانت الفخامة في الشكل، والعزلة فيه مطلوبة لمثل هذا النوع من المباني حيث اقتضت العادة أن تكون المباني الجنائزية على هذا النحو نظرا لاعتقادهم بوجود حياة أخرى سيبعثون فيها، ويعود فيها ملكهم معهم. وبالتالي فقد أصبح الجمال في العمارة اعتماده الأكبر ليس بكثرة الزخارف الزائدة بل في البساطة المطلقة في التكوين، ورشاقة النسب، وصراحة التعبير، والمنفعة التامة النابعة من إنشاء مبنى في صورة حقيقية للغرض الذي أنشئ من أجله، ومن ثم يكون التكوين متكاملاً ومتناغماً فيه كل الخصائص الجمالية، والوظيفية، وبالتالي نقترب من تحقيق التوازن المعماري المتمثل في الوظيفة والجمال والمتانة والاقتصاد (https://sites.google.com/site/mfhomalmalgmalrubblic55/?fbclid=IwAR1Fhsp-QCW7pBsOhTt1aylR9OMIsNGrShITxZleXhZwuXnliQssjFrCXeI).

القيمة الجمالية في البناء وفن العمارة:

في العصر الحديث طبقت المقاييس الجمالية في مجال الفن المعماري، وفن الحدائق وتخطيط المدن وتجميل المساكن من الداخل (الديكور)، وفن الأثاث وغيرها من الفنون التي يغلب عليها طابع الأداء الفني. إن الموضوع النفعي يمكن أن يكون موضعاً جمالياً كما يمكن أن يكون الموضوع الجمالي موضوعاً نفعياً أيضاً. وفي العصر الحديث ثبت أن هناك علاقة بين الموضوع الجمالي والموضوع النفعي، فكلاهما يصدر عن الإنسان ويتحدث عن مهارته في التحكم في تشكيل المادة، مع ذلك هناك عدة فروق بين الموضوع الجمالي والموضوع الاستعمالي منها (Taher, 2019):

أولاً: إن المهمة الأساسية التي يحققها الموضوع النفعي هي الاستخدام؛ بمعنى أنه قد أنجز ليستخدم، في حين أن الموضوع الجمالي قد أنجز لنتذوق الطابع الجمالي فيه؛ أي لنحقق المتعة الجمالية بغض النظر عن الاستخدام العملي له في الواقع، فالفارق بين الاثنين، فارق على مستوى الوظيفة والغاية.

ثانياً: يبدو الموضوع الجمالي زائداً عن الحاجة، فغايته الوحيدة هي ذاته، بما تحققه من متعة جمالية، ومن ثم فلا وظيفة له على المستوى الظاهر؛ أما الموضوع النفعي فقد صمم أساساً لتحقيق وظائف محدودة.

ثالثاً: يرى بعض الدارسين أن هناك فرقاً بين الاثنين على مستوى الشريحة التي تستفيد منهما، فهناك من يرى أن الموضوع الفني ترفاً كمالياً اختصت به طبقة قليلة من الأثرياء، حيث هم القادرون على اقتناء الأعمال الفنية بحكم المقدرة المالية، أما الموضوع النفعي فقد اختص به بقيه الطبقات المجتمعية، وهي الطبقات الفقيرة والمتوسطة.

رابعاً: هناك من يجد أن الموضوع الجمالي موضعه الأخير في الوجدان، والشعور والعالم الانفعالي في الذات الإنسانية؛ بينما نجد أن الموضوع النفعي يرتب بالقدرات العقلية وذكاء الإنسان.

علاقة الجمال والعمارة (علم الجمال المعماري):

وأصبح الجمال والعمارة مجموعين في (علم الجمال المعماري) الذي يستهدف دراسة وتطوير النظريات والقواعد الهندسية في مجال العمارة الفنية في ضوء المعايير والمقاييس الجمالية. ففي فنون العمارة والنحت تبنى على التناسق العقلي، والإنسان فيما يطلع على آثار الفنون الساكنة يشعر بنوع من الإعجاب؛ لأن غايتها التعبير عن الجمال فقط، وغاية التذوق الجمالي لهذه الآثار هي أن يحس المشاهد بلحظة الخلق الفني التي سنحت للفنان أثناءها أن يضع تصميمه بناء على الأثر والتجربة، وعلى قدرته الثقافية الفنية التي تشع في نفسية المتلقي الأثر الفني على قدر ما يسمو بذوقه الجمالي وبقدر القيمة الفنية للأثر الخاص بالتذوق الجمالي، وهذا يرتبط بالأثر الفني موضوعاً من صميم الحياة فإن الفنان يحس بحركة الحياة في عمله الفني (Taher, 2019).

جدول (1) قواعد القيمة الجمالية في الفن المعماري

القاعدة الوظيفية	القاعدة الأساسية	قاعدة الإشباع
قاعدة الذوق	القاعدة التجارية	قاعدة الحركة
قاعدة الانسجام بين المظهر والاستخدام	قاعدة الوحدة والموضوع	القاعدة التكاملية في الفنون
القاعدة الغائية أو الوسيلة	قاعدة الأسلوب	قاعدة التطور والنسبية

النقد الفني وتذوق الجمال المعماري

يعتبر النقد الفني أحد الأدوار التي تشمل العديد من جوانب اتجاه العمل الفني؛ إذ هو التذوق بحد ذاته؛ حيث أن النقد الفني يرى العمل الفني رؤية صحيحة؛ ولذلك يكمن دور النقد الفني في تفسير العمل الفني ومضامينه وإيضاحه للمتلقي وكشف مضامينه الجمالية؛ باعتبار أن النقد الفني عبارة عن قراءات ضمنية وشاملة لمختلف الأعمال الفنية. ويعد النقد المعماري هو وسيلة للتعبير الذاتي حول البيئة المحيطة "ما يجب أن تكون عليه العمارة"، هذا التعبير يمكن أن يتحقق بتقديم نظرية صالحة للتصميم المعماري أو اقتراح مجموعة أسس لتقييم قيمة عمل معماري، ونقد العمارة بصيغة جمالية وتقييمها كفن من الفنون التي تبرز الجمال وهي إسقاط أسس علم الجمال على فن العمارة وتقييمها. ويعتمد النقد على قدرة الناقد

على التمييز والطريقة التي يستخدمها في النقد حيث يتأثر بالزمن والمكان والطريقة المستخدمة والثقافة ويعتبر النقد إشكالية نسبية وليست مطلقة في كثير من الأحيان. تاريخياً ارتبط النقد بما هو جميل أو قبيح، وجميل أو قبيح قد يكون نسبياً (https://sites.google.com/site/mfhomalmalgmalrubblic55/?fbclid=IwAR1Fhsp-QCW7pBsOhTt1aylR9OMIsNGrShITxZleXhZwuXnliQssjFrCXeI)

وبيَّن (Chikhi, 2017) أن إمعان النظر في الدور، والمهام الرئيسة للنقد الفني يتمثل في تحديد وتبيان قيمة العمل الفني وتفسيره وتحليل أفكاره، والدلالات والإيحاءات التي يحملها في مضامينه، وباعتبار أن الكشف عن فكرة العمل وتفسير دلالاته التعبيرية، هي المهام الأكثر ضرورة وفائدة، ولذلك استخلص أن جل المعارف والتفسيرات والتحاليل التي تدخل في سياق تبيان وتوضيح قيمة العمل الفني، هي بالضرورة مفيدة أثناء تذوق العمل في صيغته التحليلية قصد استيعابه والحكم عليه، غير أن الاستمتاع بأي عمل فني وتذوقه من طرف الناقد الفني وكذا تفسيره وتحليله يتوقف بالضرورة على المستوى المعرفي الذي يتمتع به ذلك المتذوق أو الناقد، أي المعرفة الشاملة للفن، ويقف ذلك عبر مستوى نمو تفكيره العالي ونضج إحساسه بالجمال.

جمالية القبح في فن العمارة

يعد مفهوم جمالية القبح أحد طروحات ما بعد الحداثة، والمقصود بالجمالي هنا الاستطيقا (علم الجمال) والذي هو مفهوم أكثر شمولي، ويتضمن عدة مفاهيم منها الجميل والقبيح، وقد تناولت عدة دراسات بشكل عام مفهوم القبح، وفي ميدان العمارة بشكل خاص وفق منظور، ورؤيا متباينة، وبشكل مقتضب وضمني، وتوصلت (Taher, 2019) أن للقبح قيم جمالية وفق أسس نقدية جمالية ذاتية، أو موضوعية كمنظور أكثر اتساعاً للظاهرة الجمالية في فن العمارة.

إن مفهوم القبح الاستطيقي رغم سعة وتنوع الدراسات والطروحات المعمارية التي تناولت مفهوم الجمال في الآونة الأخيرة، إلا أنه لم يرد بشكل مستقل ومباشر؛ إلا وقد اقترن بمفاهيم أخرى مرادفة له، أو ذات علاقة بشكل أو بآخر؛ نظراً لكون الدراسات الجمالية في فن العمارة تمتاز بشيء من التعقيد، وتباين الطروحات بشكل واسع، ومن الصعب تعقب المفاهيم الاستطيقية كل على حدة أو مستقل وبشكلٍ خاص مفهوم القبح الاستطيقي (Taher, 2019).

القبح الاستطيقي والأسس الجمالية النقدية في فن العمارة

تم تقسيمها إلى ثلاثة أنماط من الأسس التي يستند إليها الناقد في تقييمه الجمالي للنتاج المعماري؛ وهذه الأسس النقدية الجمالية يمكن إيجازها بما يأتي:

* **أسس نقدية جمالية ذاتية:** الحكم بالجمال أو القبح يستند إلى التجربة التي يمرُّ بها الناقد عندما يدرك العمل جمالياً، فالناقد الذاتي يتحدث عن إحساسه الخاص إزاء العمل فعندما يشعر بالاستمتاع يقول العمل جميل وإلا فهو قبيح بلا استمتاع أي أن الحكم الجمالي الذاتي يقوم على فرض صفات خاصة في عقل الناقد أو في نفسه على الأشياء التي يصفها فيما بعد بالقبح أو الجمال، وهناك أسس يقوم عليها المقياس الذاتي (Shukr,1989):

أ) الأساس الوظيفي: ويقصد به تأثير القيمة النفعية أو الوظيفية للعمل الفني على القيمة الجمالية، أما بالنسبة للعمارة فن فلا يمكن أن يتحقق إلا باحتوائها لوظيفة متضمنة فيها.

ب) الأساس التعليمي: وهو أن يكون جمال العمل الفني يقوم على أساس المعرفة أو الفائدة التعليمية التي فيه، وتتباين الآراء فيما يتعلق بجمالية فن العمارة، والدور المعرفي الذي تقدمه.

ج) الأساس الأخلاقي: وهو أخلاقي في بعض الأحيان وديني في البعض الآخر ويتفاوت الحكم الجمالي بين فرد وآخر وفي فن العمارة؛ فالتقييم الجمالي من منظور أخلاقي وديني يؤثر على موضوعية الحكم لذلك فما هو قبيح لفئة قد يعد جميلا بالنسبة لفئة أخرى.

د) الأساس التاريخي: يكون الحكم متأثرا بعاطفة حب الماضي وكل ما هو قديم وتفضيله على ما جاء به المحدثون وبالنسبة للتقييم العماري لأعمال تاريخية تعود لفترات حضارية قديمة ومعينة قد تكون ذاتيا لوجود تعاطف مسبق أو نفور من تلك الفترة.

هـ) الأساس النفسي أي الحالة النفسية للناقد تؤثر في الحكم على العمل الفني إقبالا ونفوراً نتيجة للنظريات النفسية كالترابط النفسي والاتحاد الفني حيث العاطفة الإيجابية أو السلبية.

و) الأساس الاجتماعي: تتحدد القيمة الجمالية للعمل الفني من خلال الربط بينه وبين ظروف الحياة القائمة، وفي فن العمارة لا يعني اعتماد جوانب نفعية وظيفية لتحقيق أهداف اجتماعية سامية إن نتاجاتها أصبحت تتمتع بقيمة جمالية عالية وقد يحدث العكس تماماً.

* **أسس نقدية جمالية موضوعية:** الحكم بالجمال أو القبح يستند على خصائص الشيء نفسه ويبحث في القواعد العامة الموضوعية التي تنظم العلاقات الجمالية بين العناصر وتحقق المتعة الجمالية ضمن قانوني الإيقاع والعلاقات الاستطيقية، وفي فن العمارة عند الحكم الجمالي وفقاً لهذه الأسس على النتاج يتحدد متى تحقق الجانب الاستطيقي فيه (جميل، قبيح، مرعب..) تبعاً لمعايير وقواعد معينة (Chikhi, 2017).

* **أسس نقدية نسبية:** الحكم بالجمال، أو القبح هنا يستند على الجمال الموضوعي للشكل من جهة، وعلى الجمال الذاتي الكامن في نفس المتلقي (الناقد) من جهة أخرى ويمثل الحل الوسط. وفي فن العمارة نجد الأسس النقدية النسبية لا تتجاهل الاختلافات حول القيم الجمالية، فالأشخاص المختلفين والأعمار المختلفة لهم أحكام جمالية متباينة للعمل الواحد، ويقدمون قراءات، وتفسيرات مختلفة تبعاً لجوانب الاهتمام بالعمل ومدى الخبرة لكل منهم، وبنفس الوقت هناك سمات موضوعية في النتاج يلتقي عندها الجميع (Chikhi, 2017).

النقد المعماري:

النقد المعماري نشاط حيوي للمعماري من الصعب له الاستغناء عليه. ويمكن تعريف النقد المعماري بأنه وسيلة للتعبير الذاتي حول البيئة المحيطة "ما يجب أن تكون عليه العمارة". هذا التعبير يمكن أن يتحقق بتقديم نظرية صالحة للتصميم المعماري أو اقتراح مجموعة أسس "لتقييم" قيمة عمل معماري. النقد يعتمد على قدرة الناقد على التمييز والطريقة التي يستخدمها في النقد، والنقد يتأثر بالزمن والمكان والطريقة المستخدمة والثقافة، والنقد إشكالية نسبية وليست مطلقة في كثير من الأحيان، وتاريخياً ارتبط

النقد بما هو جميل أو قبيح، وجميل أو قبيح قد يكون نسبياً؛ ولكي يكون النقد فاعلا على الناقد توضيح طريقته في النقد . (https://mirathlibya.blogspot.com/2010/04/blog-post_26.html?fbclid=IwAR3E4UvQdj63uyX4udn9blwuZAUnSou3M61mF0YsXxDKotvSayPl2W-yZv8)

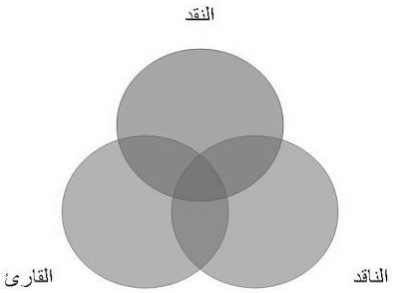

الشكل (1): شكل توضيحي للنقد المعماري

ويتضمن النقد المعماري ثلاث عناصر مهمة، الناقد "مصدر"، النقد "Message" مكتوب أو شفهي أو مصور. القارئ "Receiver" أو المستقبل للنقد: طالب عمارة، ممارس للمهنة أو من العامة.

فوائد النقد المعماري:

يشكل النقد أحد العناصر الداخلة في تكوين المعماري مهنياً، وتعتمد أغلب المدارس المعمارية على استعمال فكرة المرسم المعماري والذي يلعب فيه أستاذ المادة أو بعض الزوار دور الناقد، ويساهم النقد في إثراء الثقافة المعمارية بشكل عام و المعماري بشكل خاص. النقد، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، يمكن له أن يؤثر في النظريات المعمارية و يدفع من قيمتها (تأثير نقد مؤرخي الفن على نظريات العمارة). ظهور نظريات العمارة الحديثة ونظريات بعد الحداثة جاء نتيجة الاهتمام بالنقد المعماري، وهو يشكِّل أحد عناصر الحوار داخل المكاتب الهندسية، ويساعد النقد في فهم العمل المعماري، ويوفر العديد من الملاحظات التي يمكن استثمارها في رفع قيمة التصميم وإثراءه. ويؤثر أيضاً في قيمة الشكل المعماري مثل مجمع هابيتات الإسكاني في مونتريال وغيره من المشاريع الحديثة، ويوفر الكثير من المعلومات المتعلقة بتأثير استخدام المستعمل على التصميم (تقييم المباني بعد استخدامها)، ويوفر وسيلة تواصل بين المعماري والعامة، وهو وسيلة من وسائل تثقيف العامة مثل النقد الذي يظهر في الصحف والمجلات، ويساعد المعماري في فهم كثير من الظواهر بطريقة مختلفة. (https://mirathlibya.blogspot.com/2010/04/blog-post_26.html?fbclid=IwAR3E4UvQdj63uyX4udn9blwuZAUnSou3M61mF0YsXxDKotvSayPl2W-yZv8)

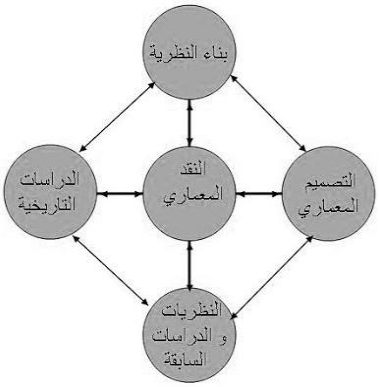

الشكل (2): شكل توضيحي لفوائد النقد المعماري

أنواع النقد المعماري:

يمكن تقسيم النقد المعماري إلى عدة "أنواع".

التصميم: أثناء التصميم: مسابقات، مشاريع مميزة، مشاريع أخرى، أو بعد تنفيذ التصميم: مشاريع منفذة. والطريقة المستخدمة: التكلفة والعوائد، أسس التصميم، والأسلوب: شفهي، كتابي، تصويري ، والمصدر: متخصص: أستاذ معماري، مؤرخ، باحث. وصحفي: صحيفة يومية، مجلة معمارية متخصصة أو عامة.

وهذه الأنواع الثلاثة من التقييم تشمل:

الوصف: الوصف يتضمن فهم البيئة العمرانية، محاولة الإلمام بمكونات المبنى.

التأويل: القراءة تشمل الفهم الذاتي وهو يفسر على أنه قراءة ذهنية ذاتية.

التقييم: التقييم يشمل إعطاء أو إلصاق "قيمة" للعمل المعماري مثلا كقول العمل جيد. (https://mirathlibya.blogspot.com/2010/04/blog-post_26.html?fbclid=IwAR3E4UvQdj63uyX4udn9blwuZAUnSou3M61mF0YsXxDKotvSayPl2W-yZv8)

الشكل (3): شكل توضيحي لأنواع النقد المعماري

حالة النقد المعماري المعاصر:

ما يميز النقد المعاصر، رغم كثرته و تعدد أساليبه، احتواءه على درجة كبيرة من الاختلاف والتضارب في الآراء، و هو ما خلق أزمة في النقد المعماري بشكل خاص وبناء النظرية المعمارية بشكل عام، حيث تبرز ملامح هذه الأزمة في الفقر في الخطاب النقدي حيث يتجلى ذلك في: (https://mirathlibya.blogspot.com/2010/04/blog-post_26.html?fbclid=IwAR3E4UvQdj63uyX4udn9blwuZAUnSou3M61mF0YsXxDKotvSayPl2W-yZv8)

- أغلب النقد موجه للمباني المنفذة بينما قليله يتعلق بمرحلة التصميم.
- استخدام معايير غير واضحة واستخدام مفردات فسيحة، خلابة، رائعة.
- تبجيل المعايير الجمالية على غيرها من الاعتبارات (العمارة، والعمل الفني).
- استخدام مفردات متشابهة بدلالات متباينة.
- استخدام معايير غير مرتبطة، وغياب المنهجية الواضحة.
- تأثر النقد بمؤثرات خارجية (المالك، التمويل).

النتائج والاستنتاجات:

- علم الجمال هو العلم الذي يضيف إلى الموجودات جمالية من التفسير وأسباب الاختيار.
- ساهم النقد المعماري، في تطوير فكر المصمم والمعماري والمنظرين في العمارة والفن.
- استخدام المعايير غير الواضحة زاد في عدم وضوح كثير من الأعمال النقدية، والتغيير في الرؤى و"النظريات" المعمارية التي ظهرت خاصة في النصف الثاني من القرن الماضي زادت من درجة الاختلاف في آراء النقاد.
- يبقى النقد المعماري فكراً وعنصراً مهماً يساعد المتخصصين لتوجيه النقد البنّاء والموضوع وتحليل الأعمال المعمارية والفنية برؤى منطقية أكاديمية شاملة المعايير التي من خلالها يستند عليها في هذا المفهوم.

References:

1) Ibrahim, Hanadi El-Sayed Mohamed El-Sayed (2014), Valter Benjamin's Artistic Esthetics, unpublished PhD thesis, Ain Shams University, Arab Republic of Egypt.
2) Steess, Waltert (2000), The meaning of beauty is a theory of aesthetics, translated by Imam Abdel Fattah Imam, the Supreme Council of Culture.
3) Shukr, Issam Ali (1989), Theories of Beauty and Their Application to Arab-Islamic Architecture, unpublished MA thesis, Department of Architecture, University of Baghdad, Baghdad.
4) Chikhi, Habib (2017), The Importance and Foundations of Criticism of Fine Art, an unpublished MA thesis in Plastic Arts, Abdelhamid Ben Badis University, Algeria.
5) Taher, Asmaa Niazi (2019), The Aesthetics of Ugly in Architecture. The Iraqi Journal of Architecture and Planning, 5(16-17-18), 214-232. 2009, Iraq.
6) Mohamed, Bourouina (2011), Hegel's aesthetic and artistic - an analytical historical study, unpublished master's thesis, Oran University, Algeria.

مواقع الانترنت:

1) http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=29425&r=0
2) https://sites.google.com/site/mfhomalmalgmalrubblic55/?fbclid=IwAR1Fhsp-QCW7pBsOhTt1aylR9OMIsNGrShITxZleXhZwuXnliQssjFrCXeI
3) https://mirathlibya.blogspot.com/2010/04/blog-post_26.html?fbclid=IwAR3E4UvQdj63uyX4udn9blwuZAUnSou3M61mF0YsXxDKotvSayPl2W-yZv8